أثر رباعيات عمر الخيام في التجربة الشعرية للشاعر العراقي الزهاوي

د. عبدالرزاق رحماني د. اسحق رحماني
أستاذ مساعد بجامعة هرمزكان أستاذ مشارك بجامعة شيراز
م.زهراء سخائي منش- جامعة شيراز

تاريخ التقديم: ٢٩٠ في ٢٠١٧/٩/١٣
تاريخ القبول: ٥٣٠ في ١٢ /٢٠١٧/١٠

الملخص:

إنّ عالميّة الأدب كانت لها تأثيرات كبيرة في وحدة الأدبيّة؛ وإنّ آثار العربيّة والفارسيّة تنعكس النموذجة العينيّة من التداخل اللغوي والأدبي وصارت مجالاً واسعاً لدراسات المقارنة. ويعدّ الخيام من كبار الأدباء في القرن الخامس الهجري وقد ترك بصمة علمية أدبيّة كبيرة في عالم الفن والأدب. ومن أشهر مؤلفاته التي يمكن الإشارة إليها رباعياته التي تبدو آراؤه المتعارضة حول الكون والخالق في النظرة الأولى. فهذه الازدواجية التي نجدها في رباعيات الخيام قد أثرت في أدباء متعددين على مرّ العصور، ومن بين هؤلاء الزهاوي الشاعر العراقي المعاصر الذي تأثّر بشعر الخيام بصورة واضحة؛ ونجد هذا التأثير عندما يُعرِّب رباعيات الخيام نثراً ونظماً وأيضاً عندما ينظم رباعياته؛ نجد أنّه استوحى فكرته بكثير من رباعيات الخيام؛ وهنا تظهر أهمّيّة الدراسة المقارنة بينهما من رباعياتهما، والتأثيرات الثقافيّة بينهما. ويتضمّن هذا البحث جوانب مشتركة بين رباعيات هذين الشاعرين. وإنّ أهمّ النتائج التي توصّلنا إليه في هذه الدراسة فيمكن تلخيصها فيما يأتي: كان الزهاوي يتأثّر في رباعياته من أفكار ورباعيات الخيّام. ينظر الخيام إلى الحياة والكون بنظرة متشائمة ويدعو إلى نسيان حزن الدنيا واكتئابها مع الإقدام على شرب الخمر والزهاوي أيضاً كان هكذا في رباعياته. إنّ تعريب رباعيات خيام بوساطة الزهاوي وتشابه مضامين رباعياتهما يرجع إلى سياق ثقافي مشترك بينهما نتيجة لتعرّف العالم العربي على أفكار الخيام؛ ومثل هذه الدراسة تبيّن اتصال كلتا الثقافتين العربيّة والفارسيّة مع بعضهما الآخر.

الكلمات المفتاحيّة: خيام، جميل صدقي الزهاوي، رباعيات، تعريب.

The impact of the quartets Omar Khayyam in the poetic experience of the Iraqi poet Zahawi

Abdolrazagh rahmani
Assistant Professor, University of Hormozgan, Iran
Eshagh rahmani
Associate Professor, University of Shiraz, Iran
Zahra sakhaei manesh, MA student, University of Shiraz, Iran

Abstract:

The universality of literature has had great effects on literary unity. In this area, the effects of Arabic and Persian reflect the development of in-kind modeling of literary and literary overlap and become a wide field of comparative studies. Khayyam is considered to be one of the greatest men of the fifth century AH and has left a great literary imprint in the world of art and literature. One of the most famous of its variants is the reference to its quartets, which seem to have conflicting views of the universe and the Creator at first sight. This duplication, which we find in the quartets of the tents has produced many studies over the ages, including those Zahawi contemporary Iraqi poet, who was affected by the tents clearly. We find this effect when the quartets of the tents express the prose and the system, and also when it regulates its quadrilateral. We find that his idea inspired much of the quartets of tents. Here is the importance of studying the comparison between them through the quartets. And their cultural influences between them and this research includes common aspects between the quartets of these poets. The most important results we have reached in this study can be summarized as follows: Al-Zahawi was influenced by his quartets of the ideas and quartets of tents. The tents look at life and the universe with a pessimistic look and call for forgetting the melancholy of the world and its depression, while also drinking alcohol and Zahawi. The Arabization of the quartets of the tents by the Zahawi and the similarity of the contents of their quartets due to the cultural context common to them as a result of the knowledge of the Arab world on the ideas of tents. Such study confirms the connection and friction of both Arabic and Persian cultures.

Key words: Khayyam, Al-Zahawi, The quartets, Arabization.

المقدمة:

تأثر الأدب المقارن في نشأته وتطوره بعوامل مختلفة، تعود في مجملها إلى التوجيهات الثقافية أو الفكرية السائدة في مرحلة معينة، فالأدب المقارن كغيره من المجالات المعرفيّة و فروع الدراسات الأدبيّة الأخرى شهدت مفاهيمه ومناهجه وميادينه منذ نشأته إلى يومنا تغيرات جوهريّة مما يجعل التعامل السطحي مع هذه التغيرات أو تجاهلها عملا يتنافى مع طبيعة العلوم[١]. وأما إنّ تاريخ نشوء مفهوم المقارنة فيعود إلى عهود قديمة وإن لم يحظ بالاهتمام الذي حظى به في العصور الحديثة. فقد نشأ قديماً بشكل الموازنة والمفاضلة والتمييز وليس في صورته الحاليّة. يمكن أن نقول إنّ وجود مفهوم المقارنة في العهود القديمة يدلّ على أسبقية الصلات بين الآداب على ظهور علم الأدب المقارن. فمن نافلة القول أن نقول إنّ الصلات بين الآداب العالميّة واللغات المختلفة قديمة قدم الإبداع الأدبي نفسه. ظهرت في صورتها البدائيّة حين نهض الأدب اللاتيني على إثر اتّصاله بالأدب اليوناني القديم وتبلورت بذورها الأولى في عصر النهضة الأروبيّة وتمثلت في نظريّة جديدة أطلق عليها الكتاب في عصر النهضة نظرية المحاكاة. أصبحت فكرة المحاكاة نظريّة في هذا العصر. فالمحاكاة لا تعني التقليد المحض، وإنّما تعني التأثر القائم على الأصالة. ولكن ترجع نشأة الأدب المقارن إلى العقد الثالث من القرن التاسع عشر في فرنسا.

إنَّ الأدب المقارن بأبسط تعاريفه كان تحليل قياس آداب الملل المختلفة. إثر انتشار منهج المقارنة، شاعت دراسات مقارنيّة كثيرة بين آثار شعراء البلاد المختلفة. ولكن كانت رابطة اللغة الفارسيّة والعربيّة مشهودة بكثير "بما أنَّ اللغة الفارسيّة تعدّ اللغة الثانية بعد اللغة العربيّة في عالم الإسلام وكانت ذا تداخل كثير معها"[٢].

إنّ عالميّة الأدب كانت لها تأثيرات كبيرة على الوحدة الأدبيّة. وفي هذا المجال مهما تشابهت ظروف اجتماعيّة وثقافيّة بين أدبين فإننا نشاهد الموضوعات والسياقات المتشابهة ومتعدّدة في طريق الكتابة.

إنّ الآثار أدبية العربيّة والفارسيّة تعكس النماذج العينيّة للتداخل اللغوي والأدبي، وصارت مجالاً واسعاً لدراسات المقارنة.

ويعدّ أبو الفتح، عمر بن خيام نيشابوري (٤٣٩–٥٢٦ق) من أهمّ الشعراء والأدباء المؤثرين في الشعر العربي المعاصر، وكان يجلب انتباه الشعراء المعاصرين بسبب أسلوبه وموضوعاته وآرائه شأن العالم ونشأته، وأفكاره الخاصة[٣]. ويمكن القول بأنّ الشعراء العرب المعاصرين توجّهوا إلى الخيام ورباعياته أكثر من الشعراء الكلاسيكيين[٤]. ومن بين الشعراء المعاصرين يمكن الإشارة إلى جميل صدقي الزهاوي الذي تأثّر بالخيام و مضمون رباعياته بكثير منها، حتّى أنّه عرّب عدداً من رباعيّات الخيام.

منهج البحث:

سنجتهد في هذه المقارنة أن ندرس تأثير رباعيات الخيام على رباعيات جميل صدقي الزهاوي بالاستعانة بمنهج تحليلي–توصيفي لنجيب على الأسئلة الآتية:

١. كيف تأثّر الزهاوي بالخيام في انشاد رباعياته؟

٢. ما أهمّ التشابهات والاختلافات في مضامين رباعياتهما؟

٣. ما الجوانب الثقافيّة التي تأثر بها الزهاوي؟

٤. ما المضامين المشتركة الكونية عند الخيام والزهاوي؟

بيان الموضوع:

في هذه الورقة البحثيّة نتعرّف على مقدار المشتركات الفكريّة والدلاليّة بين رباعيات الخيام ورباعيات جميل صدقى الزهاوي، ودراسة التأثر الزهاوي يبحث في موضعين: الأوّل: تعريب رباعيّات الخيام، والثاني: نظم رباعيات عربيّة بمضامين مشتركة مع رباعيّات الخيام، فاخترنا من هذه الرباعيات المشتركة:

١. المعاد وكيفيّته عندهما. ٢. مكانة العقل عندهما. ٣. أهمّية القضاء والقدر عندهما.

٤. بيان مفهوم العبرة من السلف. ٥. ثمن العقل الإنساني في المعرفة.

أهمّيّة البحث:

تتجلّي أهمّيّة دراسة هذه الورقة البحثيّة، والتي تعدّ من الدّراسات التطبيقيّة في التقريب فيما بين الشعوب، وتكشف عن جوانب خفيّة من علاقات كلا الأدبين وتفتح مجالا جديداً للدراسة. نظراً لأثر الدراسات التطبيقيّة في الكشف عن أوجه التشابه، والاختلاف بين التيارات الفكريّة والأجناس الأدبيّة. ويساعد مثل هذه الدراسات المقارنيّة في تطوير البحوث النقدية والارتقاء بها.

خلفيّة البحث:

– ناقش دشتي في كتابه المسمّى" دمى با خيام" سنة ١٣٥٦(هـ.ش) الاتجاهات الفكريّة والأدبيّة للخيام فقد أتاح للجمهور الإيراني فرصة كبيرة للتعرّف على هذه الشخصيّة الفكريّة والأدبيّة وهو حادّ رباعياته في ٥٦ رباعيّاً.

– كتبت ج كامبفماير مقالة تحت عنوان: "اللباب ورباعيّات الخيّام في نظر المستشرقين"(١٩٢٦م) في مجلة لغة العرب. وبشير إلى الذين ترجموا رباعيات الخيام إلى اللغات المختلفة ومنهم الزهاوي.

– قام الدكتور محمد غنيمي هلال في بحثه المنشور في مجلة الدراسات الأدبيّة خريف (٢٠٠٩م) بكشف "مدى تأثّر الزهاوي بالخيّام" في نشر أفكارهما. وتبنّى البنود المشتركة الفكريّة بينهما وآخراً وليس أخيراً نذكر جماعة الديوان، لقد تأثّرت بالخيام في نشر أفكارهم ومن بينهم الزهاوي في كتابه (نصوص ودراسات).

– كتب ليلا أميني وسيّد فضل الله مير قادري مقالة تحت عنوان: "بررسي تطبيقى أفكار وعقايد أبوالعلاء والخيّام" سنة ١٣٨٨ وهما يعتدان تشابه الأفكار عند أبي العلاء والخيّام مبني على ثقافة دينيّة متساويّة ومتأثّراً بالظروف السياسيّة والزمانيّة.

– قد كتب سعيد حسام پور وكاووس حسن لي مقالة بعنوان: "رويكردهاي پنج گانه در خيام شناسى"(١٣٨٨هـ.ش) في مجلة كاووش نامه ي زبان و ادبيات فارسي.

–كتب علي مدايني اوّل مقالة بعنوان: "تحليل يكي از رباعيات خيام و نقد ساختاري در ترجمه ي روسي آن" (١٣٨٨هـ.ش)في مجلة پژوهش ادبيات معاصر جهان.

– هناك دراسات تطبيقيّة باللغة الفارسيّة أجريت ضمن رسالة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي (١٣٨٩هـ.ش) بجامعة كردستان بعنوان: "تأثيرات فكري وأدبي خيام بر زهاوي" تحت اشراف الدكتور عبدالله رسول نژاد والدكتور نجم الدين جبّاري. ونتجت بأنّ الزهاوي تأثّر بالخيام في موضعين: نظم رباعياته على غرار الخيام وتعريبها.

– يبحث يوسف بكار في مقالتين بعنوانين: "عمر خيام: شعره العربي جمع وتحقيق ودراسة" و"آثار الخيام، العربيّة وأهمّيتها" وأيضاً في دراسته بعنوان "العرب وتراث الفارس في العصر الحديث" (١٤٠٠م) بصورة إجماليّة عن تأثير شعراء العرب المعاصرين من الأدب الفارسي.

– قد كتب أحمد رضا كيخاي فرزانه مقالة بعنوان: "عوامل مشترك شادمانگى در رباعيات خيام، مولوي و شرفنامه ي نظامي" (١٣٨٩هـ.ش) في مجلة پژوهشنامه ى أدب غنايى.

– كتبت سيد حسين سيّدي وفرامرز آدينه وند كلات، مقالة بعنوان: "بررسي مفهوم مرگ در انديشه ى ابوالعلاء معري وعمر خيام نيسابوري" (١٣٨٩هـ.ش).

– قد كتب ناصر محسنى نيا مقالة بعنوان: "جميل صدقي الزهاوي و زبان و أدب فارسى" (١٣٨٩هـ.ش) في مجلة پژوهش هاى أدب عرفانى.

–قد كتب ناصر محسني نيا مقالة بعنوان: "خيّام پژوهى با تكيه بر جهان معاصر عرب" (١٣٨٩هـ.ش) في مجلة متن شناسي ادبيات فارسي.

– كتب ناصر محسني نيا وسپيده اخوان ماسوله مقالة بعنوان: "بازتاب أدب و فرهنگ إيران در شعر عبدالوهاب البياتى" (١٣٩٢هش) فى مجلة كاوش نامه ي ادبيات تطبيقي.

–كتب رحمان ويسي حصار ومنوچهر توانگر ووالد رضايى مقالة بعنوان: "پنج الگوى استعمارى در رباعيات اصيل خيام" (١٣٩٢ هـ.ش) في مجلة پژوهشهاى زبان شناسى تطبيقى.

– كتب أيوب مرادي مقالة بعنوان: "تأثير انديشه هاي خيامي در شعر سيّد قطب" (١٣٩٢ هـ.ش) في مجلة كاوش نامه ي ادبيات تطبيقي.

– قد كتب مهيار علوي مقدّم و على صادقي منش مقالة بعنوان (مكتب اخلاقي خيام اصالت فايده و گريز از خودكامگى در رباعيات خيام) (١٣٩٤هـ.ش) في مجلة پژوهشنامه ى ادبيات تطبيقى.

– هناك مقالة كتبت بيد عبدالرضا عطاشي وأحمد صنوبر سنة (٢٠١٦م) تحت عنوان: الرؤية الكونيّة لدى الخيام والزهاوي في ميزان المقارنة والتحليل". تتكفل هذه الورقة البحثيّة دراسة تطبيقيّة فيما بين رباعيّات الخيّام والشاعر العراقي الزهاوي، حيث يصل إلى نقطة مهمة أنّ البشريّة مهما اختلفت لغاتهم لكنّهم يشتركون في أمور كثيرة يبيّنها في هذا البحث.

نبذة عن حياة الشاعرين:

الخيام الفيلسوف:

الشخصيات الفذة الأدبيّة دائماً تكون في متناول الأدباء والكتّاب في العالم؛ لأنّها بفكرها وأدبها اجتازت الحدود الإقليميّة فأصبحت مادّة ثرة للباحثين في جميع الأديان واللغات فهذا الخيام بغزارة فكره واتّجاهاته وأدبه كالطائر في سماء الأدب لا ترى له حدوداً ملحقا؛ وهو أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيام النيسابوري ولد في شمشاد في نيسابور وتفنن في علوم شتى مثل الرياضيات والجغرافيا وغيرها من العلوم الإنسانيّة تزامنت حياته مع سيطرة السلاجقة على مناطق كثيرة من إيران وهؤلاء السلاجقة كسابقيهم من الغزنويين قد حرّضوا العلماء والأدباء على نشاطاتهم ولكن ضمن الأطر السياسيّة والدينيّة ونجد الخيام قد تأثّر بهذا الحدّ السياسي في بعض النشاطات العلميّة مثل تأليف التقويم الجديد لكنّه أخذ يدرّس أفكاره بحرّية ولكنه لاقى عدم استقبال النّظام السّياسي للسلجوقيين إزاء أفكاره ورؤاه الجديدة والتّحريريّة فنجده بعد ذلك يأخذ الحذر، ولم ينشر أي أثر فكري يظهر اتّجاهه التحرّري الجديد آنذاك. ولابدّ من التعرّف على المدرسة الفكريّة للخيام في الفلسفة فضلا عن الغوص في رباعياته، فلسفة الخيام هي فلسفة وفكر واضح وغير غامض إذ هي تابعة لفلسفة المدرسة المشائيّة، لأنّه كان من تلاميذ ابن سينا الفيلسوف وكان يلقب ب(تالي تلو) ابن سينا[٥].

جميل صدقى الزهاوى:

وهو ابن محمد فيضي ابن أحمد بن حسن بن رستم بن خسرو ابن الأمير سليمان الزهاوى، وهو شاعر وفيلسوف عراقى كبير كردى الأصل، ولد جميل الزهاوى فى بغداد يوم الأربعاء ٢٩ ذى الحجة عام ١٢٧٩ هـ، الموافق ١٨ حزيران عام ١٨٦٣م، وبها نشأ ودرس على أبيه وعلى علماء عصره، وعين مدرسا فى مدرسة السليمانية ببغداد عام ١٨٨٥م، وهو شاب ثم عين عضوا فى مجلس المعارف عام ١٨٨٧م، ثم مديرا لمطبعة الولاية ومحررا لجريدة الزوراء عام ١٨٩٠م، وبعدها عين عضوا فى محكمة استئناف بغداد عام ١٨٩٢م، وسافر إلى إستانبول عام ١٨٩٦م، فأعجب برجالها ومفكريها وتأثر بالأفكار الغربية، وبعد الدستور عام ١٩٠٨م، عين أستاذا للفلسفة

الإسلامية فى دار الفنون بإستانبول ثم عاد لبغداد، وعين استاذا فى مدرسة الحقوق، وانضم إلى حزب الأتحاديين، وانتخب عضوا فى (مجلس المبعوثان) مرتين، وعند تأسيس الحكومة العراقية عين عضوا في مجلس الأعيان. ونظم الشعر بالعربية والفارسية منذ نعومة أضفاره فأجاد واشتهر به. وكان له مجلس يحفل بأهل العلم والأدب، وأحد مجالسه في مقهى الشط وله مجلس آخر يقيمه عصر كل يوم في مقهى رشيد حميد في الباب الشرقي من بغداد، واتخذ في آخر أيامه مجلسا في مقهى أمين في شارع الرشيد وعرفت هذه المقهى فيما بعد بمقهى الزهاوي، ولقد كان مولعا بلعبة الدامة وله فيها تفنن غريب، وكان من المترددين على مجالسه الشاعر معروف الرصافي، والأستاذ إبراهيم صالح شكر، والشاعر عبد الرحمن البناء، وكانت مجالسه لا تخلو من أدب ومساجلة ونكات ومداعبات شعرية، وكانت له كلمة الفصل عند كل مناقشة ومناظرة. كان الزهاوي معروفا على مستوى العراق والعالم العربي وكان جريئاً وطموحاً وصلبا في مواقفه، فاختلف مع الحكام عندما رآهم يلقون بالأحرار في غياهب السجن ومن ثم تنفيذ أحكام الإعدام بهم[٦]. وله مؤلفات علمية وأدبية منها: دواوين شعره، الجاذبة وتعليمها، الظاهر الطبيعيّة والفلكيّة، الخيل وسباتها، الدفع العام والفجر السابق. وتوفى الزهاوى في شهر ذي القعدة عام ١٣٥٤ هـ، ١٩٣٦م، ودفن بمشهد حافل في مقبرة الخيزران في الأعظمية.

دافع الزهاوي عن حقوق المرأة وطالبها بترك الحجاب وأسرف في ذلك. وكتب فيه طه حسين:" لم يكن الزهاوي شاعر العربية فحسب ولا شاعر العراق بل شاعر مصر وغيرها من الأقطار.. لقد كان شاعر العقل.. وكان معرى هذا العصر.. ولكنه المعرى الذي اتصل بأوروبا وتسلح بالعلم"[٧].

وكتب فيه الشاعر العراقي فالح الحجية في كتابه الموجز في الشعر العربي ومما قال فيه: (شعر الزهاوي يمتاز بسهولة الالفاظ واضح المعاني ثر الإنتاج وكذلك يتسم بالتأثر بالعلوم التي درسها واشتهر بالشعر الوطني والاجتماعي والفلسفة والوصف وأنشد في أغلب الفنون الشعرية)[٨].

إنّ رباعيات الخيام لم ينقل منها الى العربيّة الى يومنا هذا إلّا القسم القليل، بعضها مترجم عن الانكليزيّة ففقد الاصل روعته إذ أُفرغ في قالب غير قالبه فضاع فيه معناه وبعضها الآخر وان كان مأخوذاً مباشرة من الفارسيّة– كما شعر الزهاوي – لم يؤد ذلك الجمال الرائع وتلك الأنغام الشعريّة التي امتازت بها الرباعيات. اخذ الزهاوي على عهدته القديم بهذا العمل فاتقنه بأسلوب من شأنه أن يمهد لأبناء العربيّة التقريب من نفسيّة الشاعر الفارسي ودخائلها وحقّاً إنّه لقد أجاد كل الإجادة في ذلك. أورد الزهاوي رباعيات الخيام –ليس كلها بل ١٣٠ رباعيّة نقلها لجمالها؛ ولأنّها تنم على فلسفته في الحياة ومسلكة في الاجتماع– بالأصل الفارسي أوّلاً ثم مترجمة الى العربيّة نثراً ونظماً بصورة صحيحة متقنة وفي نهايته المقدّمة التي تشيد بذكر الشاعر الفارسي ورباعياته– يلهج

الزهاوي بالثناء على ملك العراق الجليل فيصل ركن النهضة العربيّة ويختمها بالعبارة التالية التي تنم على الآمال التي يضمرها هو وابناء شعبه لتحقيق تلك الأماني[٩].

مرحلة تطبيق على النص:

المعاد وكيفيّته عندهما:

قال الخيام[١٠]:

تا چند زنم بروی دریاها خشت
بیزاز شدم ز بت پرستان کنشت
خیام که گفت دوزخی خواهد بود
که رفت به دوزخ و که آمد ز بهشت[١١]

قال الخيام[١٢]:

گویند مرا که دوزخی باشد مست
قولیست خلاف دل در آن نتوان بست
گر عاشق و میخواره به دوزخ باشد
فردا بینی بهشت همچو کف دست

قد تبدو من هذين الرباعيتين أنّ الخيام ذو رؤية متشائمة بالنسبة إلى المعاد والجنّة والبرزخ وكأنّه ينكر الحياة بعد الموت إذ يقول: (که رفت به دوزخ و که آمد ز بهشت) وهذه الفكر تبدو متشابهة عند الزهاوي بالتأثر من رؤية الخيام.

قال الزهاوي في رباعيّة بعنوان (تستصرخ الغنى):

أنت تنحو من المنى برزخاً أي برزخ
أنت تستصرخ الغنى والغنى غير مصرخ[١٣]

- مفهوم مضي الزمان والدعوة إلى الإفادة من فرصة الحياة:

قال خيام[١٤]:

ای دوست بیا تا غم فردا نخوریم
فردا که ازین دار فنا درگذریم
وین یکدم عمر را غنیمت شمریم
با هفت هزار سالگان سر به سریم[١٥]

قال خيام[١٦]:

برخیز ز خواب تا شرابی بخوریم

زان پيش كه از زمانه تابى بخوريم
كاين چرخ ستيزه روى ناگه روزي
چندان ندهد زمان كه آبى بخوريم[١٧]

قد تبدو من هذين الرباعيتين، آراؤه المتناقضة حول الحياة كما شاهدنا في القسم الأوّل فإنّه ينكر المعاد، ولكنه هنا اعترف بالمعاد إذ يقول (فردا كه ازين ديار فنى درگذريم) ويدعوا بذخيرة أعمال والإفادة من فرصة الحياة لكي لا يندم في الآخرة وتكرّرت هذا المضمون في شعر الزهاوي.

قال الزهاوي في رباعيّته بعنوان (يندم الفتى):

الفتى جاء كلّ ما هو مفض إلى السقم
ولقد يندم الفتى يوم لا ينفع الندم[١٨]

وقال الزهاوي في قصيدة بعنوان (الأوائل والأواخر):

رقد الالى ثمادو المقا صير الرفيعة في الحفائر
تلكم المنازل تلتقي فيها الأوائل والأواخر[١٩]

ولقد قال خيام في هذا المضمون[٢٠]:

برخيز وبيا بتا براي دل ها
حل كن به جمال خويشتن مشكل ما
يك كوزه شراب تا به هم نوش كنيم
زان پس كه كوزه ها كنند از گل ما[٢١]

وقال خيام في موضع آخر[٢٢]:

چون عهده نمى شود كسى فردا را
حالى خوش كن تو اين دل شيدا را
مى نوش بماهتاب اى ماه كه ماه
بسيار بتابد و نيابد ما را[٢٣]

ويؤكد على هذا المفهوم كلام الزهاوي إذ يقول في رباعيته بعنوان (ما استطعنا):

أراد الناس أن يرقوا فحازوا على مهل رقيم المجيدا
ولو أنا اردنا لارتقينا ولكن مااستطعنا ما نريدا[٢٤]

–مكانة العقل الإنساني عندهما:

قال خيام[٢٥]:

چون نيست حقيقت ويقين اندر دست
نتوان به اميد شك همه عمر نشست

هان تا ننهيم جام می از کف دست
در بی خبری مرد چه هشیار وچه مست[٢٦]
قال خيام[٢٧]:
در ياب كه از روح جدا خواهي رفت
درپردة اسرارِ فنا خواهي رفت
می نوش ندانی ز کجا آمده ای
خوش باش ندانی به کجا خواهی رفت[٢٨]

يدعو خيام إلى ترك العقل، في مواجهة أمور العالم بما أنّ العقل تتحيّر من التّفكر في أمور الدنيا ولا يمكن النظر إلى أمر الدنيا بقوانين العقل. ويبدو الحيرة والشك في تفكيره حول العالم.

قال الزهاوي في رباعيته بعنوان (المعقول والمنقول):

قال اترك المعقول لا تعمل به حتّى يؤيد حكمه المنقول
قلت اترك المنقول لا تعمل به حتّى يؤيد حكمه المعقول[٢٩]

قال الخيام في موضع آخر:
بر چشم تو عالم از چه می آرايند
مگر ای بدان که عاقلان نگرايند
بسيار چو روند و بسيار آيند
بر بای نصيب خويش کت بربايند[٣٠]

فی المقابل نجد الزهاوي أيضاً يعطي تلك المكانة الرفيعة للعقلاء ويحسب نفسه منهم فيقول[٣١] ما يلي:

إنّي امرؤٌ لا أجهرُ إلا بما أنا أشعر
لا أطمئنّ لغير ما أنا سامع أو مبصر[٣٢]

كما يبدو من هذين الأخيرين أنّ الخيام يؤكد على أثر العقل ومكانته في التّعرف على العالم. على خلاف ما نفهمها من عدم مكانة العقل واليقين عنده في الرباعيتين الأُوّليين.

-مكانة النظر إلى الحقيقة في المعرفة:

قال الخيام[٣٣]:
در دايره اي كه آمد و رفتن ماست
او را نه بدايت نه نهايت پيداست
کس می نزند در اين معنی راست
کاين آمدن از کجا و رفتن بکجاست[٣٤]

يشكو الخيام من عدم معرفة الناس بحقيقة الحياة بحيث يجهلون الناس مفاهيمه الأساسيّة مثل الموت والحياة. ولكن من منظر الزهاوي كل الناس ينظرون إلى الحقيقة حسب منافعهم و يذمم هذا الأخلاق المكروهة التي كانت لها غلبيّة في العالم.

قال الزهاوي في رباعيّته بعنوان (أكثر الناس):

قل من ينظر الحقيقة إلّا مثلما يقتضيه منه هواه

أكثر الناس لا يرى غير ما كان مريداً أو ما يريه سواه[٣٥]

–مفهوم فناء الدنيا:

قال الخيام[٣٦]:

مي نوش كه عمر جاوداني اينست

خود حاصلت از دور جواني اينست

هنگام گل و باده وياران سرمست

خوش باش دمى كه زندگانى اينست[٣٧]

إنّ الخيام يهرب من فكرة فناء الدنيا ومضي زمانها بسرعة وعدم بقائها مع الدعوة إلى الطرب في الدنيا ونسيان عدم بقائها وخلدها؛ ويصل الزهاوي في قصيدة بعنوان (مع الزمن) إلى هذه الحقيقة وهي فناء الدنيا إذ يقول:

الناس إن ثاروا فثورتهم عن خفة فيهم وعن أفن

لا يدرك الجمهور ثورته إلا إذا انطفأت مع الزمن[٣٨]

قال الزهاوي في موضع آخر:

النفس فيَّ الكهرباء بها أعي فإذا رديت فإنّها تردى معي

ليس الحياة سوى جماد ثائر وإلى سواه ما لها من مرجع[٣٩]

قال الخيام[٤٠]:

عمر تا كي به خودپرستى گذرد

يا در پى نيستى وهستى گذرد

مى نوش عمريكه اجل در پى اوست

آن به كه به خواب يا به مستى گذرد[٤١]

وقال الخيام في موضع آخر[٤٢]:

كم كن طمع از جهان و ميزى خرسند

از نيك و بد زمانه بگسل پيوند

مى در كف و زلف دلبرى گير كه زود

هم بگذرد و نماند اين روزی چند[٤٣]

-أهميّة القضاء والقدر عندهما:

قال الخيام[٤٤]:

نيكي و بدي كه در نهاد بشر است
شادي و غمي كه در قضا و قدر است
با چرخ مكن حواله كاندر ره عقل
چرخ از تو هزاربار بيچاره تر است[٤٥]

قال الخيام في موضع آخر[٤٦]:

آرند يكی و ديگری بربايند
بر هيچ كسی راز همی نگشايند
ما را از قضا جز اين قدر ننمايند
پيمانه عمر ما است می پيمايند[٤٧]

يشرح الخيام في هذين الرباعيتين كيفية نظره للقضاء والقدر حيث يستسلم أمام قدرتها، ولكن الزهاوي يردّ هذا الاستسلام أمام القضاء والقدر، ومؤكلة نتيجة الأعمال إليها حيث يقول الزهاوي في رباعيته بعنوان (إن أخفق):

إن أخفق الإنسان في عمل له ذم الزَمان وَعاتب الأقدارا
بل ذم نفسك إنَّها هي قصرت في الأخذ بالأسباب حتى بارا[٤٨]

مكانة قانون علة و المعلول:

قال الخيام[٤٩]:

آن را كه به صحراي علل تاخته اند
بی او همه كارها بپرداخته اند
امروز بهانه ای در انداخته اند
فردا همه آن بود كه در ساخته اند[٥٠]

يعتقد الخيام بقانون العلة والمعلول حيث يرى كل شخص نتيجة أعماله مهما يعمل الخير أو السوء. والآخرة ليست إلّا معاكسة لأعمالنا في هذه الدنيا. ويعتقد الزهاوي بهذا القانون إذ يقول في رباعياته بعنوان (هذا جزاؤك):

يا نفس إنك قبلاً نبذت نصحي نباذا
فاليَوم ذوقي عذاباً هَذا جَزاؤك هَذا[٥١]

-مفهوم الاجتهاد وتحمّل الكدح:

قال خيام[٥٢]:

از رنج كشيدن آدمي حر گردد

قطره چون كشد حبس صدف در گردد

گر مال نماند سر بماناد جای

پيمانه چو شد تهی دگر پر گردد[٥٣]

يبين الخيام مفهوم الاجتهاد وتحمل المصائب بغية الوصول إلى النجاح ويتأكد الزهاوي في قصيدة بعنوان (قبل أن يملك ريشا) على هذا المفهوم ولكن يتأكّد على الاجتهاد في موضع يتحقق النتيجة بحيث قال:

لَيسَ يَسطيع وإن جدّ ابن آوى أن يطيرا

قبل أن يملك ريشاً كافياً أو يستَعيرا[٥٤]

النتائج:

إنّ أهمّ النتائج التي توصّلت إليها هذه الدراسة تتمثّل فيما يأتي:

١- كان الزهاوي متأثّر في رباعياته برباعيات الخيّام ومنطلقاتها.

٢- ينظر الخيام إلى الحياة والكون نظرة متشائمة، ويدعو إلى نسيان حزن الدنيا واكتئابها مع الإقدام على شرب الخمر والزهاوي أيضاً هكذا.

٣- تأكد هذه الدراسة اتصال واحتكاك كلتا الثقافتين العربيّة والفارسيّة.

٤- إنّ تشابه مضامين أشعار الزهاوي والخيام يرجع إلى سياق ثقافي مشترك بينهما؛ نتيجة لتلاقح الثقافتين العربية والفارسية.

الهوامش:

[١] غيلان، حيدر محمود. (٢٠٠٦). الأدب المقارن و دور الأنساق الثقافيّة في تطوّر مفاهيمه و اتجاهاته. مجلة دراسات يمنية. العدد ٨٠: ص ٨١-١٤١.

[٢] ندا، طه. (١٩٩١). الأدب المقارن. ط١. بيروت: دارالنهضة العربيّة، ص٣٨.

[٣] مرادي، محمد. (١٣٩٢). تأثير انديشه هاي خيامي در شعر سيّد قطب. كاوش نامه ی ادبيات تطبيقي، شماره ی ١٠: صص ١٢٣-١٤٧.

[٤] محسني نيا، ناصر. (١٣٨٩). خيام پژوهی با تكيه بر جهان معاصر عرب. پژوهش های زبان و ادبيات فارسی، شماره ی ٣: صص ١-٢٠.

[٥] جعفري، محمد تقي. (١٣٧٣). تحليل شخصيت خيام. ط٣، تهران: انتشارات كيهان، ص١٢٣.

[٦] الكيلاني، فالح نصيف الحجيبة.(بلا تاريخ). الموجز في الشعر العربي، دراسة في العصور المختلفة للشعر العربي، العراق، مجلد٢، ج٣، ص٦٠١-٦٠٢.

[٧] مفرح، سعدية.(٢٠١٠م). جميل صدقي الزهاوي. مجلة العربي، عدد٦٢٢.

[٨] الكيلاني، فالح نصيف الحجيبة.(بلا تاريخ). الموجز في الشعر العربي، دراسة في العصور المختلفة للشعر العربي، العراق، مجلد٢، ج٣، ص٦٠٤.

[٩] كامبفماير، ج. (١٩٢٦). اللباب ورباعيّات الخيّام في نظر المستشرقين. مجلة لغة العرب، شماره ي ٧٢: صص ٤٧٢-٤٧٣.

[١٠] فروغي، محمد على. (١٣٦٩). رباعيات خيام، تهران: انتشارات اسماعيليان، رباعى ١٩. .

[١١] حتى أبني على سطح المياه لقد سئمت ديرا وعبّادا لأوثان؛ من قال إني من أهل الجحيم ومن أتى من الخلد أو ولى لنيران؟

[١٢] المصدر نفسه: رباعى ٣٨.

[١٣] الزهاوي، جميل صدقي، (١٩٢٤م). ديوان الزهاوي، مصر: المطبعة العربية، ص٣٧٦.

[١٤] فروغي، ١٣٦٩: رباعى ١١٣.

[١٥] تعال يا صديقي نهجر هموم الغد؛ ونغد هذا اليوم غنما؛ وثق أنه لا يعود فرق البته بعد رحيلنا عن هذا الدير الخرب؛ بيننا وبين من تقدمنا بسبعة آلاف عام.

[١٦] المصدر نفسه: رباعى ١١٥.

[١٧]لا تصدق أن الدهر يمهلنا ساعة إزماع الرحيل دقيقة نشرب فيها جرعة ماء، فتعال ننقع علينا من هذه الصهباء منذ الان وقبل أن نسقى كأسا نقضي بها.

[١٨] الزهاوي، جميل صدقي، (١٩٢٤م). ديوان الزهاوي، مصر: المطبعة العربية، ص٣٧٦.

[١٩] الزهاوي، جميل صدقي، (١٩٢٤م). ديوان الزهاوي، مصر: المطبعة العربية، ص٣٨٢.

[٢٠] فروغي، ١٣٦٩: رباعى ١.

[٢١] قم وسارع الى الطلا واسقنيها؛ إن صبري عن الطلا لن يجوزا؛ هات لي كوزة لاشرب منها؛ قبلما يصنعون مني كوزاً.

[٢٢] المصدر نفسه: رباعى ٢.

[٢٣] فرّح فؤادك الضجر أيها البدر؛ فما من أحد أوتي علم الغد؛ واعكف على شرب السلاف في ضوء هذا القمر؛ فلسوف تبحث عن أشعته في مستقبل الأيام فلا تقف لها على أثر.

[٢٤] الزهاوي، جميل صدقي، (١٩٢٤م). ديوان الزهاوي، مصر: المطبعة العربية، ص٣٧٨.

[٢٥] فروغي، ١٣٦٩: رباعى ٢٦.

[٢٦] مادامت كفك صفراً من الحق واليقين؛ فلا تدع عمرك ينقضي بالشكوك؛ ولا تدع يدك تفلت كأس السّلاف؛ واعلم أن السكر والصحو شيء واحد عند من يجهل حقائق الأمور.

[٢٧] فروغي، ١٣٦٩: رباعى ٩.

[٢٨] فكّر في نفسك التي ستفارقها؛ عند ما يُسْدل العدم عليك سجوفه ليخفك وراء حجبه؛ عليك بابنة العنب ما زِلت ما تدري مأتاك وعليك بأسباب الطرب ما زلت تجهل مصيرك.

[٢٩] الزهاوي، جميل صدقي، (١٩٢٤م). ديوان الزهاوي، مصر: المطبعة العربية، ص٣٧٩.

[٣٠] إذا أزد أنت الدنيا لديك فلا لثق؛ بما لم يثق فيه لبيب وكيس؛ فمثلك كم آت إليها وذاهب؛ فقم واختلس حظَّابها فستخلس.

[٣١] الفاخوري، حنا. (٢٠٠٨م). الجامع في الأدب العربي. ط٦. بيروت: (د.مكتبة.ط)، ص٤١٣.

[٣٢] الزهاوي، جميل صدقي، (١٩٢٤م). ديوان الزهاوي، مصر: المطبعة العربية، ص٦٢.

[٣٣] فروغي،١٣٦٩: رباعى ٣٢.

[٣٤] ما لهذا الوجود من أول أو؛ آخر فافتكر به وتعجب؛ ليتني قد علمت من أين جئنا؛ وإلى أين بعد حين سنذهب.

[٣٥] الزهاوي، جميل صدقي، (١٩٢٤م). ديوان الزهاوي، مصر: المطبعة العربية، ص٣٧٩.

[٣٦] فروغي،١٣٦٩: رباعى ٤٣.

[٣٧] أدر كؤوس السلاف فهي واسطه الخلود؛ عنفوان الشباب؛ ها هو موسم الورد وأوان السرور؛ وها هم الخلاّن؛ في رياض نشواتهم يرتعون، فمتع نفسك بساعة طرب هي الحياة بعينها.

[٣٨] الزهاوي، جميل صدقي، (١٩٢٤م). ديوان الزهاوي، مصر: المطبعة العربية، ص٣٧٩.

[٣٩] الزهاوي، جميل صدقي، (١٩٢٤م). ديوان الزهاوي، مصر: المطبعة العربية، ص٣٨٢.

[٤٠] فروغي،١٣٦٩: رباعى ٧٥.

[٤١] ارتشف خمرة ولا تتفكر؛ في حياة مصيرها لنقاد؛ احر بالعمر–خلفه الموت– أن يصرف في حال السكر أو في الرقاد.

[٤٢] المصدر نفسه: رباعى ٧٧.

[٤٣] دع عنك حرص الوجود واهنأ؛ إن أحسن الدهر أو أساء؛ واعبث بشعر الحبيب واشرب؛ فالعمر يمضي غداً هباءَ.

[٤٤] المصدر نفسه: رباعى ٤٤.

[٤٥] إنما الهم والسرور وهذا؛ الخير والشر كل ذلك موعز؛ لا تحلها إلى السماء بجهل؛ إنها الف مرة منك اعجز.

[٤٦] المصدر نفسه: رباعى ٥٤.

[٤٧] يذهبون بأحد ويأخذون أحد أخرى؛ ولا يكشفون عن سرّهم لأحد؛ ولا يبينون لنا من القضاء إلا هذا القدر؛ وهذا مكيال عمرنا وهم يقيسونها.

[٤٨] الزهاوي، جميل صدقي، (١٩٢٤م). ديوان الزهاوي، مصر: المطبعة العربية، ص٣٧٩.

[٤٩] فروغي، ١٣٦٩: رباعى ٥١.

[٥٠] ذلك الذي يهاجمون عليها في بيداء العلل؛ ويفعلون كلّ الأمور دونه؛ واليوم يمحلون العذر بلا دليل؛ والغد كانت نتيجة ما يفعلونها اليوم.

[٥١] الزهاوي، جميل صدقي، (١٩٢٤م). ديوان الزهاوي، مصر: المطبعة العربية، ص٣٧٨.

[٥٢] فروغي، ١٣٦٩: رباعى ٥٧.

[٥٣] يصير الإنسان حرّاً من الكدح؛ والقطرة إذا تحمل محبس الصدف نتصير درّاً؛ لو ذهب المال بقى الرأس في مكانها؛ وإذا المكيال صارت خاليا فتصير مملوءاً مرة أخرى.

[٥٤] الزهاوي، جميل صدقي، (١٩٢٤م). ديوان الزهاوي، مصر: المطبعة العربية، ص٣٨٠.

المصادر والمراجع:

١. جعفري، محمد تقي. (١٣٧٢). ***تحليل شخصيت خيام***. ط٣، تهران: انتشارات كيهان.

٢. الزهاوي، جميل صدقي، (١٩٢٤م). **ديوان الزهاوي**، مصر: المطبعة العربية.

٣. عطاشي، عبدالرضا. وصنوبر، أحمد. (٢٠١٦). ***الرؤية الكونيّة لدى الخيام والزهاويِّ في ميزان المقارنة والتحليل***. مجلة اللغة العربيّة وآدابها علميّة محكمة. ص ٣٠٣- ٣٣٣.

٤. غيلان، حيدر محمود. (٢٠٠٦). ***الأدب المقارن و دور الأنساق الثقافيّة في تطوّر مفاهيمه و اتجاهاته***. مجلة دراسات يمنية. العدد ٨٠: ص ٨١-١٤١.

٥. فروغي، محمد على. (١٣٦٩). ***رباعيات خيام***. تهران: انتشارات اسماعيليان.

٦. الفاخوري، حنا. (٢٠٠٨م). ***الجامع في الأدب العربي***. ط٦. بيروت: (د.مكتبة.ط).

٧. كامبفماير، ج. (١٩٢٦). ***اللباب ورباعيّات الخيّام في نظر المستشرقين***. مجلة لغة العرب، شماره ي ٧٢: ص ٤٧٢-٤٧٣.

٨. الكيلاني، فالح نصيف الحجيبة.(بلا تاريخ). **الموجز في الشعر العربي، دراسة في العصور المختلفة للشعر العربي**، العراق، مجلد٢، ج٣.

٩. محسني نيا، ناصر. (١٣٨٩). ***خيام پژوهى با تكيه بر جهان معاصر عرب***. پژوهش هاى زبان و ادبيات فارسى، شماره ى ٣: ص ١-٢٠.

١٠. مرادي، محمد. (١٣٩٢). ***تأثير انديشه هاي خيامي در شعر سيّد قطب***. كاوش نامه ى أدبيات تطبيقي، شماره ى ١٠: ص ١٢٣-١٤٧.

١١. مفرح، سعدية.(٢٠١٠م). **جميل صدقي الزهاوي**. مجلة العربي، عدد٦٢٢.

١٢. ندا، طه. (١٩٩١). ***الأدب المقارن***. ط١. بيروت: دار النهضة العربيّة.

References:

-Jafari, Mohammad Taghi. (1372). Chayyam's personality analysis. Taha 3, Tehran: Kayhan Publishing House.

-Zuhawi, Jamil Sidqi, (1924). Diwan Al-Zahawi, Egypt: The Arab Press.

-Attachi, AbdulRada. And Sanobar, Ahmed. (2016). The cosmic vision of tents and Alzahawi in the balance of comparison and analysis. Journal of Arabic Language and Literature.

-Ghilan, Haydar Mahmoud. (2006). Comparative literature and the role of cultural structures in the development of its concepts and trends. Journal of Yemeni Studies.

-Foroughi, Mohammad Ali. (1369). Rabaiyat Khayyam. Tehran: Ismaili Publications.

-Fakhouri, Hanna. (2008). The Whole in Arabic Literature. I 6. Beirut.

-Kampfmayer, c. (1926). Pulp and quartets of tents in the eyes of Orientalists. Journal of Arabic Language, No. 72: pp. 472-473.

-Al-gilani, Faleh Nassif Al-Hajaiba (no history). Abstract in Arabic Poetry, A Study in the Different Ages of Arabic Poetry, Iraq, Volume 2, C3.

- Mohseninejad, Nasser (1389). Khayyam Research Based on the Contemporary Arab World. Persian Language and Literature Studies, No. 3: p. 1-20.

- Moradi, Mohammad (1392). The Effect of Khayyami's Thoughts in Seyed Qutb Poetry. Explore the Comprehensive Explanatory Memorandum, No. 10: p. 123.

-mo Farah, Saadia (2010). Beautiful Sidqi Alzahawi. Al Arabi Magazine, Number 622.

- Nada, Taha. (1991). Comparative literature. I. Beirut: Arab Renaissance House.